وكان منظرهم قد جعلنا نشعر بأننا ما نحن الا متسكعين وتافهين ومجرد صعاليك سفلة · ثم اعقبهم أعرج يمر بنا وهو يدمغ الرمل الرطب برأس رجله الخشبية وعكازيه ثقوبا · تضاحك الرجل ، لسبب ما ، لنا كما لو كان يعتذر ، وغاص يتقافز في البركة ، في نفس اللحظة التي قفزت فيها الفكرة لدينا بانه كان ينبغي علينا في الواقع ان نقترح عليه العبور من حول البركة ، او على العموم ، ابقاءه هنا · قزم اخر مر ، وكان قد هم ، عندما وصلنا ، بالصراخ ، ولكنه راح يتنفس بصعوبة وهو يبتلع ريقه ، لكي لا يبصقه علينا ، او لكي يفسح ، ربما ، مجالا لصرخته ، ولكنه اكتفى بهزة قوية من يديه تفسر ـ تنذر ـ تطالب ـ تطلب ، وتنهد عميقا ، ثم عاد وتنهد ومر · تقدم من ثم اربعة عمي ، كل يده على كتف سابقه ، وبالاخرى تلمسوا الطريق جاهدين بعصيهم ، محاجرهم تشخص الى الاعلى نزرا ، واكثر مما ينبغي جانبا ، وكان آذانهم هي التي تقودهم · وبالاضافة الى اصغاء العمي الخاص ، وخوف الاصطدام في الخطوة المقبلة ، كان ثمة خوف كبير وعام ينسكب عليهم دون ان يعرفوا الى اين يذهبون وما الذي هناك في المكان الذاهبين اليه ، وما الذي يفعله الاخرون · تلمسوا وتلمسوا (أعجب كيف اهتدى واحدهم الى الاخر في جماعة واحدة) ، حين وصلوا البركة تقدم منهم شخص ما وامسك بيد الاول ، الذي هز رأسه العثنوني مستجيبا له بجهد اصغائي متزايد ، وقال لهم : « اقعدو هون » · فتراجعوا الى الخلف حتى حاجز الطريق واقعدوا حيث وقفوا ، قادحين زناد افكارهم لادراك ما الذي يحدث · ومر عجوز اخر محدودب حتى الانحناء فأجلسوه الى جانب العميان · عمنا جو من التسول ، والصديد والصرع ، ولم يكن ينقصنا سوى النحيب ورحمة تخلصنا من الموت ·

ـ « اي قرف هنا ! » قال شلومو ·

ـ « فليموتوا افضل لهم ! » قال يهودا ·

ـ « ما اكثر ما لديهم من العمي والعرج في هذه القرية ! » ، قال شلومو ·

ـ « لقد فر الاخرون ، وتركوهم لنا » ، قال يهودا · « ولكن الحبل لا بد لاحق بالدلو الان ، فيعودون الى مالكيهم » ·

ـ « ما لنا ولكل هذه الورطة » ، اندفعت الكلمات من فمي بلهجة احتجاجية اكثر مما أملت ·

ـ « صحيح » ، وافقني شلومو ، « عشر معارك افضل لي من هذه الورطة » ·

ـ « ما بكما ؟ » دمدم يهودا ، وهو يكشط القطع الوحلية المتجمدة بأظافره · « ما الذي نفعله بهم ؟ أنقتلهم ؟ كل ما في الامر اننا ننقلهم الى مناطقهم · فليجلسوا هناك اذن وينتظروا · وهذا جميل جدا من جانبنا · اذ لا يوجد مكان واحد في العالم حيث يعاملونهم فيه هكذا · وبغض النظر عن ذلك ، فان احدا لم يطلب اليهم بأن يبدأوا المشاكل » · تريث قليلا ثم اضاف قائلا بعد ان فكر مليا : « ما الذي سيحل بهم وما الذي سيشربون ؟ كان عليهم أن يفكروا في ذلك قبل ان يبدأوا ! » ·

ـ « بدأوا ماذا ؟ » قلت ·

ـ « فلتكف انت عن جعل نفسك صديقا كبيرا » ، قال يهودا بغضب شديد · « لقد اشعنا النظام الان والهدوء هنا في هذه المنطقة » ·